لمحة تاريخية عن النموذج النسقي

بداية الفكر النسقي تمتد من أعمال رايشمان (1957/1889) التي تكلمت عن مصطلح الأم الفصامية لينشر باتيسن عدة أعمال بحثية أشار فيها لعدة ملاحظات مهمة مرتبطة بسلوك الفرد التي وجد بأنه محدد بطبيعة إجابة المحيط. بداية من عام 1936 تكلم باتسن عن أهمية العمل الجماعي في فهم الاضطرابات و معالجتها، ليعطي اتجاها جديدا و هو أهمية التواصل كآلية لها دور جد هام في فهم العلاقة و هذا ما أشار له في أعماله حول الفصام و الأسرة مستعينا بمصطلح حديث أنداك و هو *الإلزام المزدوج*، حيث أنه يعتبر بأن هناك شبكة عكسية في العلاقة بين الأم و الطفل مثلا، ما جعله يتكلم عن مصطلح الاجابة الرجعية السلبية أخدا بعين الاعتبار أن التواصل لا يمر فقط عبر تحويل الطاقة بل الفرد لديه القدرة على معالجة المعلومة الموجودة في المحيط و التي تمر عبر عدة مراحل مهمة و هي فك الرسالة، تركيبها، تنظيمها (Bateson, 1956) .

ثم تكونت مجموعة باحثين بمدرسة باولو التو بالولايات المتحدة و بدأت تركز في أعمالها على طريقة التواصل الذي تستخدمه الأسرة مع مريض الفصام معتبرة أنه اضطراب يخص حقيقة بناء التواصل داخل النسق الأسري و هي تعتبر من بين أحدث الافكار أنداك. بدأ عندها باتسون بالعمل و دراسة هذه الفكرة حتى حوالي الستينات أين عاد ليركز على أعماله حول التواصل. بداية من عام 1958 قام معهد البحوث في الامراض العقلية بوضع الأسس العامة الخاصة بالعلاج النسقي و ذلك بإدماج فكرة التواصل داخل العمل العلاجي. قام عندها بول فاتزلافيك بعدة تجارب حول فعالية العلاج النسقي الذي مر بعدة مراحل مهمة جعلته يصل لطرق دقيقة في المقابلة العلاجية ليستعين في البداية بتقنية العلاج الحدسي البديهي الذي طوره كل من دون جونسون و اريكسون انداك لتصبح هذه الطريقة جد معمول بها و أخذت شهرة كبيرة في الطب النفسي آنذاك. لتنقسم المجموعة بعد ذلك جراء و فات دون جونسون و تأتي عدة أفكار مستوحاة من الفكر النسقي لمدرسة باولو التو(Watzlawick, Beavin, & Jackson, 1967). هكذا قدم بيتسون مفهومه الخاص بالتواصل في فهم النهج النسقي و ذلك من خلال تأكيده على أهمية التواصل في التعرف على نظام الأسرة ماجعله يقترح في أعماله مفهوم الرابط المزدوج ، والذي يصف الموقف الذي يتلقى فيه الفرد رسائل متضاربة من مصادر مختلفة. من جهته قدم جاي هايلي توجها جديدا لمفهوم النسق داخل العمل العلاجي الخاص بالأسرة عبر استخدام تقنيات حديثة مثل وصف الأعراض، والتي ترتكز على إثارة سلوك مرضي لدى أحد أفراد الأسرة لتعطيل نظام

الأسرة وإحداث تغييرات جديدة بالنسق.أما موراي بوين فقد طور نظرية نواة الأسرة التي تسمح بفهم التفاعلات بين أفراد الأسرة وبيئتهم معتبرا أن كل فرد من أفراد الأسرة يتأثر بسلوكيات الأعضاء الآخرين والهياكل الاجتماعية ككل.

2.1.2. الأسس والمبادئ الرئيسية للنموذج النسقي

ظهرت أسس التوجه النسقي في مجالات مختلفة بما في ذلك العلاج الأسري وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا، و يركز هذا المفهوم على فكرة أن الفرد في تفاعل مستمر مع بيئته التي تتكون من نسق عام و نسق فرعية معتبرا أن المشكلات الفردية غالبًا ما تكون نتيجة لاختلالات في النسق الأسري أو الاجتماعي. تستند نظرية النسق على عدة مبادئ أساسية : الأول هو مفهوم النسق الذي يعتبر مجموعة من العناصر في تفاعل مستمر. يتم تنظيم النسق في نسق فرعية لكل منها خصائص ووظائف محددة، حيث أن التفاعلات بين النسق الفرعية تعتبر جد مهمة لفهم الأداء العام للنسق. المبدأ الثاني هو الإرسال وهو قدرة النسق على التنظيم الذاتي، حيث تعزز المثيرات الإيجابية المكونات أو مخططات التفكير، بينما تهدف المثيرات السلبية إلى تغييرها.

المبدأ الثالث هو الدائرية (Circularité)، ما يعني أن الأحداث والسلوكيات في النسق مترابطة لأنها تتغذي من بعضها البعض، ما يجعلها تأخذ شكل أسبابًا وتأثيرات. المبدأ الرابع هو اللاخطية (Non-linéarité)، مما يعني أن العلاقات بين عناصر النسق ليست متناسبة دائمًا، فالتغييرات الطفيفة في نسق فرعي واحد يمكن أن يكون له تأثيرات كبيرة على النسق بأكمله.